

## فرنسية أحبت بغداد في كبرياء أهلها وعظمة تاريخها

## آه نيفات: بغداد منطقة حمراء

عن معاناتهم، وتابعت في أفغانستان ثم منذ ٢٠٠٤ لحد الآن في العراق، لكني لم أنقطع عن أي من هذه البلدان فزياراتي تتناوب فيما بينها ودائماً هناك ما يستجد ويستحق المتابعة.

(نون) - مالذي أضافته لك زيارتك

المتكررة إلى العراق؟

كل زيارة تزيدني حزناً وأسفاً، نعم قد يكون هناك بعض التغيير الإيجابي لكن هناك أشياء ليس من السهل تجاوزها فالشعب العراقي الطيب مصاب بخيبة أمل ولا ثقة له بالطبقة الحاكمة والدليل على ذلك أن معظم أصدقائي الذين تعرفت عليهم خلال السنوات الست الماضية قد غادروا العراق فهم مصابون، كالباقين منهم بالغنيان والكأبة وكل ما هنالك من أمراض عضوية ونفسية، وهذا ما يجري أيضاً في أفغانستان، وهنا تجدين التشابه في الواقع ساطعاً فالمتضرر الخاسر في حلقة صراعات المتسلطين المغلقة هي الشعوب الطيبة التي تبحث عن الأمان.

(نون) - كثيرون جاؤوا إلى العراق

كتبوا عنه ولم يُجد ذلك نفعاً، لم يحصل أي تغيير جذري بل تناولنا الإعلام الغربي كمادة يتعيش منها، وهم لم ينقلوا معاناتنا إلى شعوبهم التي لا تدرك لحد الآن ما يدور من عبث في هذه المناطق من العالم، فهل أضاف مؤلفك "بغداد منطقة حمراء" ما يساعد العراقيين للخروج من أزمتهم؟

لهذا أنا لا أسكن في الفنادق بل في بيوت الشعب أؤوب معهم في معاناتهم، أعيش دقائق معاناتهم اليومية، فالشيشاني والأفغاني والعراقي طيب طموحاته مشروعة، العيش في سلام مثل بقية شعوب العالم ومثله كمثل الأمريكي والفرنسي والسويدي، شرق وغرب، الكل عيال الله، المشكلة تكمن في المتحكمين في مراكز القرار والسلطة فهم المسؤولون قبل كل شيء عن هذا العبث العالمي.

وآن قد تمر من أمامك دون أن تلتفت انتباهك فهي كالكثير من العراقيات حنطية اللون دقيقة الحجم إذا حدثتها توقدت حماساً بعضوية لا تصنع فيها، تفتح لك قلبها فتكسر حواجز السؤال والجواب، تواصل ينساب دونما ترقب ودونما ارتياب. أتطلع إليها فأجد طعم يرتقال بعقوبة، مركز وطيب المذاق. صدفة عرفتها عن طريق الانترنت وهي تجري مقابلة لها مع الصحافاة الدولية تحكي عن العراق في كتابها "بغداد منطقة حمراء" تروي وقائع تجربتها بزيارات متتابة إلى العراق تمكت خلالها ضيفة في البيوت العراقية الكريمة في كل أنحاء العراق. هذا القول ليس مجازاً فهي قد عاشت الشمال والوسط والجنوب وذهبت بعيداً إلى حيث لا يجرؤ الرجال إلى أبعد النواحي والقصبات متشحة بالسواد من قمة رأسها إلى أخصم قدميها، هكذا تمر دون أن يُشبهه فيها كأية عراقية عابرة مسافرة مجللة بالسواد سمة العراقية المهورة.. قد تدوم زيارتها أسابيع بل أشهر أحياناً. تواصلت معها عبر الانترنت فأخبرتني منذ أيام أنها قادمة، وهكذا التقينا، لم أفاجأ ولم تُفاجأ بي وكأنا نعرف بعضنا منذ دهور، وبعضوية جلسنا ودار الحديث بيننا وطل.

(نون) - حدثيني، من أنت وكيف وصلت

إلينا؟

- أبي أستاذ جامعي متخصص بالشأن الروسي، وأنا حاملة دكتوراه في العلوم السياسية، لم أشأ أن أمارس عملاً مدنياً فاخترت الصحافة للعمل كمراسلة حربية في المناطق الساخنة من العالم. منذ ٢٠٠٢ كتبت العديد من الكتب عن الحرب في الشيشان، عشت هناك فترة طويلة مع الشعب ووسط الناس البسطاء كتبت



أجرت الحوار: د. فوز النعيمي

الريادة درجة متقدمة في مسيرة الأمم، فإن تكوني رائدة يعني أن تأتي بفعل لم يسبقك إليه غيرك يبين ويرشد آخرين إلى مدارك تتجاوز حدود الأنماط المستهلكة. التاريخ مليء بالرواد في كل صنوف المعرفة الإنسانية منهم نساء نادرات يتصفن بالشجاعة والجرأة والعقل الراجح حملن رايات قادت إلى تغيرات في المسيرة البشرية. وفي وقتنا الحاضر تحتل رائدات الإعلام الدولي مركز صدارة فهن جريئات يقتحمن أشد الحالات خطورة ولا عقلانية، فالعيش في الشيشان وقت أزمته مع السلطات الروسية وتغطية أحداث التصفيات البشرية في أفغانستان في عز التهاب الصراع الأمريكي الطالباني واستمرارا إلى العراق منذ ٢٠٠٤ ولحد الآن يعطينا نموذجاً من الإلتزام والشجاعة تتميز به صحفية فرنسية مستقلة تعمل كمراسلة حربية تدعى أن نيفات،



الحقيقة كالكتل الجليدية القطبية لا يظهر منها طافياً إلا بعضها اليسير ويبقى الأهم غارقاً في بحور الصمت والجهل.

**(نون) - أتم تتعبي بعد؟**

- أنا أحب عملي ولست مجبرة عليه فهو اختياري في الحياة لأنني ألتقي بأناس يستحقون أن أستمّر في تقديمهم للغرب كي يعرفوا بأن العالم مليء بأمثالهم الطيبين، ولذا لن أتوقف، قرائي كثيرون يؤمنون بما أنقله لهم راغبون بمعرفة ما هو خلف العناوين والأخبار، إنها لسعادة أن أكون مع أصدقاء أكتشفهم، ورغم كل المآسي والقبح فأنا أحب بغداد في كبرياء أهلها وعظمة تاريخها، بمبانيها القديمة ودجلتها المستكين على مبيض.

المعاونة وأتمكن من نقلها بصدق وأمانة ولو أنني سكنت في الفنادق أو احتميت بالمنطقة الخضراء لما تسنى لي معرفة الذي يجري حقاً في بغداد المنطقة الحمراء، وهي حال معقدة فكوني امرأة ساعدني على مزاولتها فأنا أعيش مع الشعب ولهذا سببان، الأول أنني معهم أكل ماأكلون وأخشى مثلهم مما يتعرضون إليه في معاناتهم اليومية وثانياً أنني ألبس مثلما يلبسون احتراماً لهم في تقاليدهم وفي هذا كما ترين الكثير من الأمان، عندها تتوطد الثقة بيننا وتتحوّل الكتابة عنهم من مجرد موضوع للنشر إلى حالة إنسانية غنية وحقيقية تخرج عن أطر كتابات صحفية وبرامج إعلامية لا تنقل إلا الجزء اليسير من

**(نون) - هل من الصعب إيصال هذا المعنى إلى العالم الغربي ليفهم ما نعانية من هذا التشرذم والهمجية؟**

- الشعب يدرك هذا لكن كما تعرفين فنحن لسنا في مواقع اتخاذ القرار، وهي مسألة شائكة ومن ناحية ثانية فالصور النمطية التقليدية عن العراق وأفغانستان عند الغرب تشكل حاجزاً يصعب اجتيازه لخلق حالة تعاطف بيننا وبينكم ومهمتي هي كسر هذه النمطية البغيضة التي تترسخ في الذهن الغربي عن غيرها من الشعوب وذلك بشرحها بكل تعقيداتها وتبايناتها، ولتحقيق ذلك كان من واجبي البقاء في البلد المصاب مع الناس البسطاء أشاركهم عيشهم اليومي لأحس حقيقة

